النشاط الثقافي في الوطن العربي

ج . م . ع .

رسالة القاهرة :

عروبة مصر ...

انتصار جديد لفكرنا القومي

يفرض واجبات جديدة !

بقلم سامي خشبة

.. كأنما كتب على الفكر في مصر ، أن يظل أسيرا للدائرة المفرغة التي تصنعها أسئلة البحث عن البديهيات، واعادة طرح ما أثبت التاريخ انه من المسلمات ، وتحويله من جديد الى معضلة . وقد يكون ـ واحيانا ما يكون ـ اعادة التفكير في البديهيات هو الواجب الذي يمليه العقل ويستوجبه الضمير الحي ـ للمفكر ولأي انسان ، اذا كان الفكر أو العلم ـ وكلاهما الآن وجهان لعملية واحدة للذهن والعمل الانسانيين ـ قد طرحا « حقائق » جديدة تستوجب التفكير الجديد والمراجعة . ولكن ، كأنما كتب على الفكر في مصر ، حتى في مجال التخصص السياسي ، أن يظل خاضعا لتقلبات المنهج التأملي ـ أو حتى مجرد نزوات التأمل الفردية ، بولعها الشديد بتركيب أبنية من المقولات التي لا يكون لها عادة أي دلالة في الحقيقة الواقعية ، الا على ما تدل عليه من خيالات في ذهن صاحب البناء أو النزوة التأملية . (وفي عالم السياسة والفكر التاريخي والاجتماعي ، تكون الحقيقة الواقعية هي التاريخ الاجتماعي والحضاري للشعوب ، ومستقبلها ، ووقائع الجغرافيا البشرية والمكانية والاقتصادية ، والنسيج الحي للثقافات) .

كان من الممكن لمثل تلك الابنية ـ وحتى النزوات ـ التأملية في الماضي ، أن تكون نتاجا لتحول تجارب عقول جبارة الى رؤى عامة وشاملة ، عرفت بأنها « الفلسفة » في مرحلة كبيرة وخصيبة من تطور الفكر الانساني . وكانت هذه الرؤى ضرورية ـ مع كل تجربة عظيمة تحولت الى بناء محمل بالرؤية الشاملة ـ لتقدم «الفكر» الى مستوى « المبحث العلمي » ، مع تقدم مناهج وأساليب البحث عن الحقيقة ، ووسائل جمع وتراكم الحقائق ، وتقدم مناهج تبويب الحقائق (المعلومات) ومقارنتها وتحليلها واستخلاص النتائج منها . ومنذ أسفر ذلك التقدم ـ في تاريخ الفكر الانساني ـ عن المناهج الموضوعية ، والعلمية ، أو المتشبهة بالعلم ـ كفت أمثال تلك الرؤى عن التجلي في أشكال ابنية « فلسفية » متكاملة ، وان ظل الكثيرون من المتفلسفين يكشفون عن « رؤى » جديدة ، في عوالم الميتافيزيقا أو الجمال أو النفس ، وليس في عوالم السياسة والتاريخ وقوانين حركة المجتمع . كف المفكرون عن ذلك لأنهم عرفوا انهم لو حاولوه لكانوا كمن يحاول اخماد النار بنسيج عنكبوت .

وتحولت نفس تلك الرؤى ـ أو شبيهاتها الجزئية الجديدة ـ الى لغة الفن بدلا من لغة الفكر والتفلسف . لقد أصبح للفلسفة لغة أخرى، وأصبح للفكر ، خصوصا في مجال الانسانيات عموما ، وعلوم السياسة خصوصا، منهج مختلف ولغة أخرى ، تميزا بالموضوعية والحرص على الاستفادة من منجزات العلم في مجال جمع الحقائق .. الخ ، لمحاولة التوصل لا الى « ابنية فكرية شاملة منطلقة من فرضيات مجردة عامة » وانما الى انعكاس للمعنى العام لتفاصيل الحقيقة المكونة من آلاف دقائق التاريخ والاقتصاد والجغرافيا والثقافة ... اي آلاف الدقائق التي يتكون منها نسيج « المجتمع » الانساني في وحدته وفي تنوعه ، وفي حركته الدائبة الخلاقة .

وذلك ، لان « هذا » الفكر ، أصبح يعرف انه قد لا تكون له أية قيمة ، ما لم يكن همه هو الحل العملي للمشكلات « الفعلية » لا الوهمية ، للحياة ، ولحياة « مجتمع » الفكر (طالما هو « يفكر » في قضايا هذا المجتمع السياسية وليس في مسألة فردية خاصة) وما لم يكن هدفه هو الطريق الصحيح ـ ثم اقتراح أسلوب التصدي الناجح ـ لقضايا الواقع ، مستندا الى ما سبق أن « جمعه وبوبه وحلله .. الخ » من حقائق ، أي من « معلومات » .

وهذه ، بديهية : مسلّمة من المسلمات التي أفرزها تطور تاريخ الفكر الانساني الحديث .

وهناك بديهية أخرى : لقد حاول كثيرون ، بدوافع مختلفة وتحت ضغوط متنوعة (من الاهواء والنزوات ، أو من الجهل أو من النفاق أو من الحماقة ، أو من مجرد الادعاء) أن يعثروا لمقولات وهمية ، على أسانيد من تفاصيل حقيقية متناثرة ، أو أن يحولوا كميات من « الاوهام » والخرافات ، الى مستوى الحقائق ، والنظريات « العلمية » عن طريق تركيبها في سياق « لغة علمية » مرصعة بمصطلحات معروفة أو مبتكرة ، وترتيب خلاب ومخادع (وكثيرا ما وقع « العلميون » أنفسهم في هذا الخطأ ، فخدعوا أنفسهم ، بسبب نسيانهم الارتباط بالنسيج الحي للواقع الذي يريدون التعامل معه ، واكتفائهم بالتعامل مع الاشباه والنظائر ، حاسبين ان مقارنة الاشباه ، تغني عن المعرفة الحقيقية بكل شبيه ، أو ان ما يستخلص من تاريخ حضارة واحدة يسري بالضرورة على كل الحضارات ، كأنما « تضاريس » التاريخ العظمى ، شبيهة بظواهر الطبيعة البسيطة !) .

وهؤلاء يتميزون دائما بميزتين : نسيان ما حدث في الماضي لمحاولات مشابهة ، منذ سيمون الساحر منافس المسيح ، الى مسيلمة الكذاب مدعي النبوة ، الى « فلاسفة » الحركة النازية ومفكريها الملفقين ، ثم محاولة « مواكبة » العصر ، باستخدام لغة « حديثة » متلائمة مع مزاج اللحظة التي يخاطبون أهلها ، مع اجتزاء المعلومات المتناثرة الصحيحة ومزجها بأقوال تشير الى « حقائق » وهمية ، لاستخلاص النتيجة المطلوبة مع تجاهل كامل للوقائع الصحيحة التي تؤيد « الحقيقة » المطلوب طمسها ، واحلال « الوهم » محلها .

ولأن الفكر (والفكر السياسي خصوصا) في مصر ، قد واجه طويلا ، وما يزال يواجه ، ضغوط النوعين من النزوع الى حرمان العقلية المصرية من أسلحة معرفتها الموضوعية بحقيقتها التاريخية ، وانتمائها الحضاري ، وهويتها القومية « الفعلية » ، ولان محاولة حرمان العقلية المصرية من هذه الاسلحة ، ليس مجرد حوار « تأملي » وانما هو دعوة سياسية ، تهدف الى اقامة وضع سياسي معين تبتعد فيه مصر عن معارك وقضايا أمتها العربية : لهذين السببين ، يتضح مغزى هذا الكتاب : « عروبة مصر ، حوار السبعينات » وتتضح أهميته .

ورغم أن الكتاب صدر في القاهرة ، وتحت عنوان يشير الى الاهتمام بالانتماء القومي لمصر أساسا ، وفي توجه الى القارىء في مصر بالدرجة الاولى ، ففي يقيني ان هذا الكتاب يهم كل مواطن عربي من أقطارنا الاثنين والعشرين ، على أساس ضرورة تجميع وتحليل كل أدبيات الفكر القومي العربي ، وانشاء نوع من «موسوعة» شاملة لاعمال هذا الفكر التي ساهمت في بنائه (في طرح ودراسة الحقائق المختلفة لقضايانا القومية) . وفي يقيني ان عملا من هذا النوع ، مع شموله لاصول وخلاصات « الاعمال » المتضاربة مع النظرية القومية بتجلياتها المختلفة ، يعدّ عملا ضروريا من الاعمال الاولية لتوضيح معالم اطار الوجود القومي للامة العربية ، والاسس المميزة الدافعة لهذا الوجود وملامحه واتجاهاته الخاصة ، الناشئة من طبيعة التناقضات ، وتبادل تأثير تلك التناقضات (ومواقعها) التي برز هذا الوجود ذاته من خلالها (التناقض مع قوميات عنصرية مسيطرة ، التناقض مع الامبرباليات الغربية ، التناقض مع مصالح طبقات وسطى وفئات اقطاعية وقبلية محلية ، التناقض مع التصورات الشوفينية المحلية والاقليمية ، التناقض مع التصورات الجامدة للماركسيين المدرسيين ، التناقض مع الاستعمار الجديد والشركات المتعددة الجنسية ، التناقض مع اسرائيل (الصهيونية) أداة الامبرباليات الغربية وحليفتها ، التناقض مع استراتيجيات الدول العظمى وما تفرضه من تقسيمات لصالح قوى غير قومية ، التناقض مع القوى السياسية (الاجتماعية) العاجزة عن ابصار حقيقة التلازم بين الثورتين : القومية والاجتماعية والترابط بين القوى التاريخية القادرة (والتي من مصلحتها) تحقيق الهدفين معا ، سويا أو بالتتابع ، وعلى دفعات بالضرورة) . ثم ان عملا من هذا النوع (موسوعة الفكر القومي العربي) يعدّ واحدا من الاسس اللازمة لدفع عمل القوى القومية ذاتها الى الامام (بمزيد من الوعي ومن توضيح الوعي) والى الوحدة .

* * *

صدر الكتاب عن « مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية » بمؤسسة الاهرام في مصر ، وأشرف عليه الدكتور سعد الدين ابراهيم ، لكي يضم كل ما كتب في مصر أساسا ، وفي بعض الاقطار العربية الاخرى ، حول الدعوة الى « حياد مصر » التي أطلقها الاستاذ توفيق الحكيم ، وحول مسألة الانتماء القومي لمصر ، التي أثارها الدكتور لويس عوض في غمار المناقشة لدعوة « حياد مصر » . ويضم الكتاب ، بالاضافة لـ « وثائق » المناقشتين ، دراسات تحليلية (بعد التقديم الذي كتبه الدكتور سعد الدين ابراهيم) بأقلام ستة من الكتاب المصريين ، لتحليل اتجاهات الكتاب المشتركين في المناقشتين ، والمواد المعرفية التي استخدموها ، وتحديد معالم القضايا التي أثيرت في المناقشتين ، والرد أو التعليق على كثير من الآراء ووجهات النظر التي أبداها الكتاب فيهما .

اشترك في الحـــوار الاساتذة : توفيق الحكيم والدكتور حسين فوزي والدكتور لويس عوض واحمـد بهاء الدين والدكتور وحيـــد رافت ويوسف ادريس والدكتورة بنت الشاطىء واحمـــد حمروش والدكتور محمد اسماعيل علي ورجـــاء النقاش والدكتور حسين فوزي النجار والدكتور ابراهيم عـــلي صالح والدكتور عبد العظيم رمضان والدكتور ميلاد حنا ومحمد أحمـد فرغلي . وكتب الدراسات التحليلية ، الاساتذة : السيد ياسين والدكتور أحمـــد يوسف أحمد وخيري عزيز وعبد المعاطي محمد أحمد وجهاد عودة وهاني المعداوي.

وليس المهم هو ان الكتاب ، يمثل التجربـة الاولى في العالم العربي لتجميع « وثائق » مثل هذا الحوار ، وتبويبها ودراستها مـــن منظورات مناهـج موضوعية واساليب شكلية مختلفة للبحث . فهي يقيني ان الآلاف من المثقفين العرب ، يملكون الآن في منازلهم « مكتبات » كاملة ــ أو تسعى للتكامل ــ من أعمـــال الفكر القومي خلال الاعوام الخمسين الاخيرة ، ومن الطبيعي ان المئات من هؤلاء ، يملكون فـــي أذهانهم ، أو كتبوا ونشروا ، محاولات لرصد مساحات معينة من اعمال الفكر القومي ، أو للرد على أعمال الفكر المتضارب مع حقيقتنا القومية .

ولكن اهميـــة الكتاب تنبع مـن مجموعـة مـن العوامل :

اللحظة التي اثيرت فيها المناقشة .

اللحظة التي وصل فيها الاختلاف حول «التكتيك» العربي في مواجهة القضية القومية ، الـــى درجة من الحـــدة ، جعلت التناقضات العربية الداخلية ، تبدو كأنها أكثر عدائية وتجذرا من التناقضات الرئيسية في هذه المرحلة بين الامة العربية وبين أعدائها . فطرحت . وسط فوضى الرؤى والمواقف ، أفكار عـن « العزل » أو « المقاطعة » من ناحية ، وعن « الحياد » و « التخلي » من ناحية أخرى . وبينما ظلت أفـكار العزل والمقاطعة في اطـــار التحليلات السياسية والشعارات أو حتى (عـــلى الاكثر) في حيز المـــواقف « المختزنة » أو الاحتياطية ، حاولت أفكار الحيـاد والتخلي ــ لاسباب تاريخية موضوعية ومرحلية ذاتيـة كثيرة ــ أن تجـد لنفسها مبررات من القانون الدولي مرة ، ومن التحليلات التاريخية الوهمية مرة أخرى ، ومن التشبيهات المبتسرة البلهاء مرة ثالثة ، أو من أوهام المحافظة على « متحف للحضارة ومخزن للطاقة العربية » مرة رابعة . ولكـــن فوضى الرؤى والمواقف والتكتيكات ــ مـع عجز الفكر العربي ــ أو منعه ــ من ملاحقـــة وتوضيح المـواقف والتكتيكات (ودراســـة الاصول التاريخية الاجتماعية لكل منها) التي تبـدو أحيانا بلا أصول ، أو توحي بأن أصحابها قد غيروا فجأة أصولهم ومصالحهم وانتماءاتهم . ــ هذا الركام من الفوضى والتداخل والعجـز والمنع ، هو الذي هيأ الفرصة لاعادة طرح مسألة الانتماء القومي لمصر مرة أخرى (معطيا لفكرة الحياد والتخلي ، ولفكرة العزل والمقاطعة معا ، أساسا « أصوليا » مختلفا يجعـل الفكرتين تبدوان وكأنهما من طبائع الاشياء) .

خطورة المغزى الذي يمثله طرح موضوع هوية مصر القومية ، من خلال طرح « فكرة » حياد مصر :

ان تدعيم فكرة تدعو لمـــوقف سياسي « شكلي » بأساس نظري يحاول أن يصوغ حركـــة التاريخ على أساس معطيات وهمية (من نوع الاساس العرقي الواحد للقومية الواحدة ، والوظيفة الحضارية تنفرد بها شعوب معينة على أساس تفوقها العرقي الموروث.. الخ) أمر له خطورته الفكرية والاستراتيجية في النهاية ، في اللحظة التي تبدي فيها فئات طبقية معينـــة في بعض الاقطار العربية استعدادها اما للتنصل مـــن الجامعة القومية للامة ، واما لادعاء انها القطاع « الاكثر رقيا » والاكثـر جدارة بالقيادة أو بالصدارة في الامة .

ولكن هذه الخطورة لا تعـادل خطورة طرح مثل هذا « التدعيم » النظري الوهمي لفكرة الحياد ، وتقديمه طعاما ايديولوجيا لبعض الفئات الطبقية في بعض الاقطار العربية ، بهدف ــ بوعي أو بغير وعي ، أو بنوع أو بآخر من « الوعي » ــ توجيه الحركة التاريخية لاتجاه التفاعل القومي للامة العربية ، الى وجهة مناقضة لاصول هذه الحركة نفسها ، بل ومعادية لها في النهاية . لقد اتخذت الحركة التاريخية للتفاعل القومي العربي ــ في اطـــار الحركة العالمية للتحرر الوطني منذ أوائل القرن ــ طبيعة مختلفة كل الاختلاف عن طبيعـــة الحركات القومية الاوروبية واليابانية ــ التي تخلصت بسرعة من اطارات « التحرر » من قيـــود العصـور الوسطى (الدينية ، والاقطاعية ، والتجارية المحلية ، والامبراطورية .. الخ) لكي تتحول بسرعة أيضا الـى حركات استغلال محـلي « متطور ومركز » ، وقهر قـــومي واستعلاء عنصري يدعم ــ نظريا ــ الاستغلال والقهر . ان تحول التفـاعل القومي العربي ، من جزء من « حركة التحرر الوطني » مندمج تماما بحركة الثورة الاجتماعية ، الى حركة تملكها طبقات وسطى وفئات « قبلية ــ اقطاعية » متنـوعة ، مرتبطة باستراتيجيات الامبريالية العالميـــة ، وتغذيها الايديولوجيات الغربيـــة ذاتها عن الوحدة العرقيـــة والاختصاص بالرسالة الحضارية والحصول على « قوة عالمية » .. الخ ، لن يعني في النهاية الا امداد نظـــام عالمي يسرع الى الانهيار ببعض الدم الجديد ، وتحويـل

حركة القومية العربية من حركة لتحرير شعوب العالم الى حركة أداة ـ أو حتى مشاركة ـ في قمع عمليات التحرير العالمية وتعويقها .

وقد يكون من المفيد الآن أن تدرس تكتيكات الغرب وأساليب مناهجه الايديولوجية والاستراتيجية (بعد هزيمة فيتنام ، وحرب أكتوبر ، وأزمة الطاقة والنقد الغربية ، وصعود حركات التحرير الافريقية ، وتصاعد القوى الديموقراطية في أوروبا الغربية) لاحتواء واعادة توجيه الفئات القائدة اجتماعيا في دول العالم الثالث ـ التي تولت منذ الاربعينات والخمسينات قيادة حركات التحرر الوطني ، ثم لتصفية النظم « الموالية » العتيقة ، واقامة نظم « موالية » ذات أشكال حديثة بل وليبرالية.

انكشاف هزال الليبرالية المصرية ، وعجزها عن التطور ، حتى من المنظور العلماني (الفكري) المجرد ؛ بالاضافة الى اختفاء كل من الماركسيين المدرسيين ، والسلفيين التقليديين من ميدان المناقشة في قضيتين ـ سياسية وايديولوجية ـ كانتا من « تخصصاتهما » في الماضي .

لقد تولى طرح فكرة الحياد ، ثم وهم التمايز القومي العرقي للشعب العربي في مصر ، ثلاثة من الجيل الاخير من الليبراليين المصريين : توفيق الحكيم والدكتور حسين فوزي ، ثم الدكتور لويس عوض .

وباستثناء الدكتور وحيد رأفت ، وهو من نفس الجيل ومن الزعماء السياسيين والمفكرين القانونيين لنفس الليبرالية المصرية ، والدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطىء) من جماعة « الليبراليين السلفيين » ان صح هذا المصطلح ؛ كان جميع من تولوا الرد في خلال المناقشة المفتوحة والدراسات التحليلية التي كونت صلب الكتاب وشكلت « المناقشة المنظمة » ، من أجيال أخرى جديدة ، انتماؤها السياسي قومي ديموقراطي ، وموقفها الايديولوجي تاريخي اجتماعي علمي ، يضرب بجذوره واجتهاداته في أرض أخرى غير مجرد سطح الليبرالية الغربية .

ولكن ما يهمنا هنا هو عجز الفرسان الليبراليين الكبار الثلاثة ، الذين طرحوا موضوعات المناقشة من بدايتها ، في هجوم على التزام مصر القومي ، ثم على انتمائها القومي الاساسي ، عن تقديم حجج « أصلية » أو حتى عن الاستناد الى منطلقاتهم الفكرية الاصلية القديمة . ففي فكرة الحياد ، والدعوة الى التنصل من التزام مصر القومي ، كان « أعمق » جوانب المناقشة ، هو الكلام العاطفي عن رسالة مصر الحضارية (كأنما ليس لدى الاقطار الاخرى عطاء حضاري) أو المباحث القانونية ، المنقولة عن مصادر مدرسية غربية ، والمجردة ، عن طبيعة الحياد القانوني والحياد الفعلي ؛ والتشبيه المضحك بسويسرا أو النمسا أو السويد ، دون أي محاولة للمقارنة بين جوانب متغيرات أي مثال من أمثلة الاولى المحايدة التي تحدثوا عنها ، أو مصر ، المطالبة عندهم بالحياد .

وفي فكرة تمايز مصر القومي والعرقي ، خرج الدكتور لويس عوض عن كل ميراث تاريخه الشخصي الايديولوجي القديم (منذ الماركسية التقليدية الى كل انتماءاته التالية) . ولكن اختياره « الايديولوجي » الجديد ـ في هذا الموضوع ـ كان مذهلا في تناقضه مع كل تراثه « الثوري » أو « الليبرالي » . فقد وقع ببساطة ـ ودون تمهيد ـ على مخزون معتق من أسوأ نظريات التكوين « العرقي » للشعوب القديمة ، كانت آخر منتجاته الرديئة هي تجربة الفكر النازي بالذات ، بالاضافة الى خلطة كبيرة من المعلومات غير الصحيحة ، والترتيب المخصوص لمعلومات أخرى جزئية ، والاحكام العامة التي تدحضها أبسط المعلومات من أي «أرشيف» لمكتبة تراث الفكر القومي العربي والتاريخ العربي القديم والحديث والمعاصر ...

وقد تستحق هذه النقطة عودة أخرى تفصيلية الى مأساة الليبرالية المصرية ، وما انتهت اليه .

* * *

ان كتاب « عروبة مصر » أكثر تنوعا في موضوعاته وغزارة في مادته من أن يلخص هنا ، وأحسبني قد عرضت لعدد من الآراء والافكار الاساسية التي وردت به في السطور السابقة . ولكني أحب ـ قبل اختتام هذه الرسالة ـ أن أبرز من جديد أهمية ما نبّه اليه الكتاب من ضرورة جمع تراث الفكر القومي العربي في موسوعة واحدة ، تشمل التاريخ ، والجغرافيا ، والفلسفة ، والظواهر السياسية من أحزاب وتجمعات وأحداث ، والشخصيات ، والثروات والعمليات الاقتصادية ، والتشريع ، والمنظمات الدولية ، والاعمال العسكرية ، والادبيات السياسية المختلفة .. الخ . فقد كان الكتاب، ثمرة هامة لمناقشة لا يمكن التقليل من أهميتها ولا تحتاج الى تأكيد خطورتها ، وأقل ما نبهت اليه المناقشة في حد ذاتها ، هو ان قوى العمل القومي العربي لا تفتقر الى العقول ، ولا الى الجماهير . انها تحتاج ـ في مرحلتنا الراهنة على الاقل ـ الى أن تعرف ، بيقين ، ما تملكه من ثروة ، وان ربط معرفتها بثروتها ، وتنظيم هذه الثروة ، هما الشرطان الاوليان لوحدة المعرفة ، والفكر ، والعمل .

القاهرة

* *

ع ع س

دفء الثقافة في شتاء بارد

رسالة دمشق ـ رياض عصمت

يبدو ان دمشق في هذا الشتاء البارد تتدفأ على حطب الثقافة ، وان الادب والفن يشيعان في جسدها البارد شيئا من الحرارة والحيوية . دفعة واحدة احتضنت دمشق شاعرين عربيين كبيرين : محمد مهدي الجواهري من العراق ، ومحمود درويش من فلسطين. ودفعة واحدة شهد جمهور دمشق عرضين مسرحيين جادين بمستوى فوق المتوسط ، أولهما مسرحية « راشومون » ذات الاصل الياباني ، وثانيهما مسرحية « انسوا هيروسترات » السوفياتية . أما في مجال الفن التشكيلي فقد ازدهت « صالة الشعب » التابعة لنقابة الفنون الجميلة بلوحات الفنانة الايطالية لوراتار انتولا . بينما ازدحمت دور العرض السينمائية بالاحتفال باليوبيل الذهبي للسينما السورية ؛ بمهرجان للسينما السوفياتية كان باهتا بعض الشيء هذا العام على غير العادة ـ باستثناء فيلم « السفينة البيضاء » عن قصة لايتماتوف ، وبمجموعة متفرقة من الافلام المقبولة والجيدة ، أهمها « ماندينغو » للمخرج ريتشارد فليشر ، وفيلمين عربيين مقتبسين عن أعمال أدبية : « قطة على نار » عن مسرحية تنيسي ويليامز ؛ و « اذكريني » عن رواية المرحوم يوسف السباعي « بين الاطلال » وكلاهما من سيناريو د. رفيق الصبان . كل هذا يجري والوفود بين القطرين الشقيقين العراق وسورية تأتي بالتبادل ، وكان أن استضافت دمشق فنان المسرح العراقي الكبير يوسف العاني، كما استضافت بغداد نجمتنا منى واصف .

أزمات الثقافة

رغم هذه الصورة التي تدعو للتفاؤل ، ما زال المثقفون في سورية « يضعون أيديهم على قلوبهم » ؛ فالوضع الثقافي عرضة لهبوب العواصف ، لأن النظرة الى الثقافة مرتبطة اشد الارتباط بالسياسة ومتغيراتها الراهنة ، بحيث تصبح ضحية للصراعات الجانبية ، للنزعات الاعلامية ، والتحزبات . لكن شيئا من التحسن طرأ مؤخرا ، ربما كان هذا نتيجة طبيعية لاعتراف الطرفين (السلطة والادباء) بالحفاظ على هامش معقول من الحرية بعد تكاثف الكتاب ازاء بعض القرارات الغاشمة الصادرة بمنع بعض الادباء عن ممارسة دورهم الكتابي . في السابق تعرضت عدة مسرحيات للالغاء في آخر لحظة (مثل : « توراندوت » لبرشت ، « ليل العبيد » لمدوح عدوان ، « عراضة الخصوم » لعلي عقلة عرسان ، و « حبظلم بظاظة » لخورشيد) ، وذلك بعد ان نالت الموافقات الرسمية وانفق عليها من الجهد والنفقات الشيء الكثير . وفي السابق أنتجت مؤسسة السينما عدة أفلام قصيرة وطويلة ظلت في علبها ولم تعرض للجمهور ، الا ان بعضها أفرج عنه بعد طول انتظار ، مثل « اليازرلي » لقيس الزبيدي ، و « السيد التقدمي » لنبيل المالح ، بينما ظل بعضها حبيسا حتى الآن ، مثل « الحياة اليومية في قرية سورية » لعمر أميرلاي ، وفيلم عن أحياء دمشق الفقيرة لمروان حداد. وبدلا من الاجراء الرقابي العادي بحذف مقال ما كاد الامر ان يتطور لحذف كاتب ما . لكن هذا قد تضاءل الآن .. وعادت الرقابة الى حالها الطبيعي وهامشها المعقول .

ان الفن والادب بوجه عام يتعرضان لأزمة عندما تسعى السلطة لتدجينهما ، كما يتعرضان لأزمة مماثلة حين تكون الروح السائدة عدائية من قبل مثقفين يفترض فيهم أن يكونوا أول المدافعين عن الحرية . النتيجة هي ان المبدع الحر يصبح عرضة اما لأن يصنف ضمن المعارضة وبالتالي يحجب في الظل ، أو لان يصبح عرضة للاتهامات من قبل زملاء تقدميين يلعبون دور الرقيب السياسي من خلال حرفية وميكانيكية في التطبيق الايديولوجي بشكل جدانوفي جامد .

قد يبدو هذا الوضع « كافكاويا » بحيث أتهم من قبل بعض « المبررين » بالتأثر الثقافي بنزعات الاغتراب والقلق والمعاناة التي لا علاقة لنا بها في مجتمعاتنا العربية المتحضرة حيث تحترم حرية الانسان وكرامته ؛ وتتوفر له فرص العيش والعدل الاجتماعي ، ويحكم على المرء لا بطبقته أو بنفوذه أو بتحزبه أو بعشيرته ، وانما بذكائه وعلمه وموهبته وقدراته . حسنا ، لن نضيع مزيدا من الوقت ، بمناقشة اذا كان هذا منحصرا بالمجتمعات الرأسمالية ، أم بالمجتمعات اللارأسمالية واللااشتراكية التي ورثت ـ ربما ـ مساوىء النظامين. ولنعتبر الكلمة على حد قول مایاکوفسکي : « ليس المسرح مرآة عاكسة ، وانما هو عدسة مكبرة » .

وفاة فنانين كبيرين :

لكن دمشق التي انتعشت بدفء الثقافة والفن في هذا الشتاء تدفأت في الوقت نفسه بصمت كالمؤامرة على جسد محترق لفنان عظيم رحل عنا مؤخرا هو لؤي كيالي .

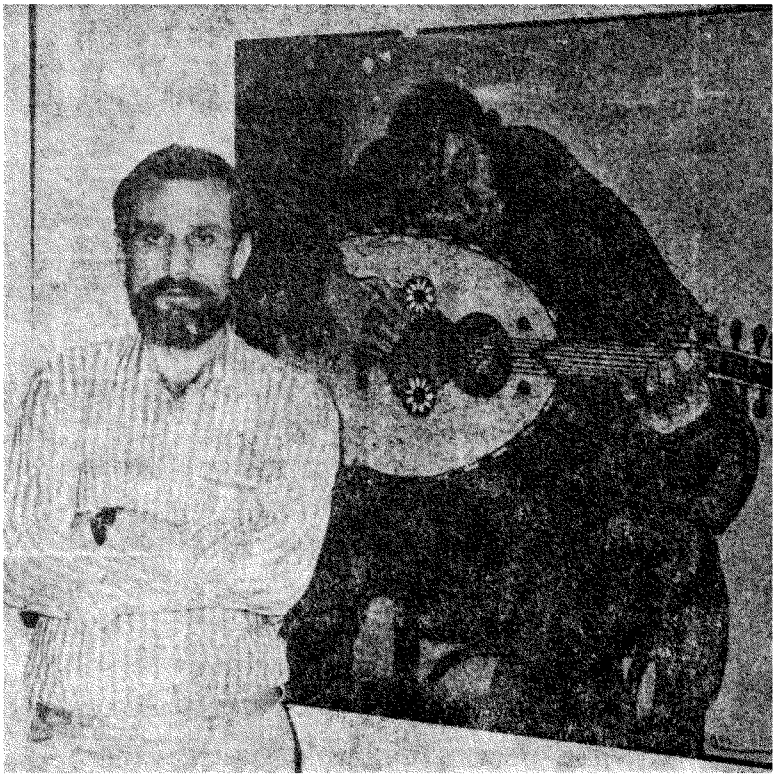

الفنان الراحل لؤي كيالي

من هو لؤي كيالي ؟

كتب الناقد التشكيلي صلاح الدين محمد فقال عنه : « واحد من القلائل الذين خلقوا توازنا حقيقيا بين مواقفهم الحياتية وفنهم ، تميز بالجدية والبحث عن الحقيقة ، عاش من أجل الفقراء وكرس حياته لهم . كان مناضلا حقيقيا ، وثوريا يؤمن بأمته حتى العشق ، وشموليا يحمل هموم كل شعوب العالم الضعيفة . كان انسانا حقيقيا لا يعرف المبالغة في حديثه ولا يحكي الا الحقيقة ، وترمومترا للانسانية المعذبة ، لا يخالف موعدا لو كلفه حياته ، وصاحب موقف عنيد لا يلين » .

في عام ١٩٦٥ قال عنه فيزنتيني بأنه : « وجه الحضارة العربية المعاصرة » ، هذا الوجه الذي عاد الى سورية بعد تحقيقه عدة نجاحات في ايطاليا خلال دراسته برز سريعا كواحد من ألمع الفنانين وأكثرهم تميزا بأسلوب واضح أصيل . وانفعل الفنان بالاحداث وأقام قبل حزيران ١٩٦٧ معرضه « في سبيل القضية » ليمجد صورة الانسان العربي ويرسم له طريق الخلاص. كان لؤي قد وصل الى توتر نفسي مذهل في تلك الآونة ، في حين نصب له « النقاد » المشانق واتهموه بالمباشرة . ذلك الفنان الذي فاز بالجائزة الاولى لمسابقة سيسليا ، والمدالية الذهبية لمسابقة رافينا ، والجائزة الثالثة لمسابقة مدينة كوبيو ، والثانية في مدينة الاتري. ذلك الفنان يصبح في وطنه عرضة للمزيفين والمدعين . وكانت النكسة ، وكان العلاج النفسي المتخلف لفنان رقيق يطالب بالعدل المطلق ، علاج مؤلم يدفع العاقل الى الجنون . وبين صحة مؤقتة ومرض مرهق ظل لؤي يخرج ويدخل المصحات . ويرسم . ازداد التصاقا بهموم الفقراء والمسحوقين ، ووجد فيهم صورة الانسان : وجدها في صيادي الاسماك ، وبائعي اليانصيب ، وعازفي الموسيقى ، وقراء الصحف ، ووجوه الاطفال الجوعى . لم يرسم الشخصيات البورجوازية . ولم يتاجر بفنه . بل عاش قضيته بدمه واحساسه وجسده . كم مرة مزق لوحاته في غمرة اليأس ؟ كم مرة باع أعماله في أزمة الاحباط ؟ كم عانى من الفقر وأزمة السكن وهو الفنان الذي نذر نفسه لأمته ، والذي كان يعيد أزمته النفسية صادقا الى عوامل فشل الثورة والوحدة العربيتين . في آخر معارضه عام ١٩٧٤ لقي الكيالي نجاحا هائلا حسّن وضعه الصحي والنفسي وجعله ـ كما قال ـ يمر بلحظات صفاء لا تصدق . الا ان صحته لم تكن لتصلح ، فقد كان أدمن العلاج بالحبوب المهدئة ولم يكن يأكل سوى ساندويشة واحدة وفنجان قهوة في اليوم ولفترة طويلة ، بينما يقضي بقية الوقت في النوم بتأثير الحبوب هربا من واقع محبط . وتراجعت صحته ، وهبط وزنه هبوطا مريعا ، الى أن كان يوم الحادث الاليم . امتدت النار من سيجارته وهو نائم مخدر فأحرقت الدار وشوهت جسده تشويها مفجعا . وبذلت الجهود هذه المرة على جميع الاصعدة لانقاذ الفنان الكبير ، وظل قيد المعالجة الدقيقة حوالي شهرين ، لكن الجسم لم يحتمل ففارق الفنان الحياة محترقا بنارين : نار المعاناة ونار الحريق .

لم يكن لؤي كيالي وحيدا ، ولم تكن خسارتنا واحدة ، فبعد أسابيع قليلة من وفاته اختطف الموت فنانا آخر هو نعيم اسماعيل ـ مدير الفنون في وزارة الثقافة ـ الذي توقف قلبه عن الخفقان ، كما توقف من قبل قلب كل من أخويه أدهم اسماعيل وصدقي اسماعيل . وتتميز رسوم نديم اسماعيل في المضمون بايمانها بالانسان العربي وتفاؤلها بالثورة العربية ، وهي تستمد ألوانها من التراث والبيئة ، وتعبّر بأسلوب فني أدبي ، ينسج من الفن الاساطير والمآثر التاريخية وصور الصمود والتصدي والاباء والكرامة .

نعيم اسماعيل خسارة أخرى فادحة للفن التشكيلي

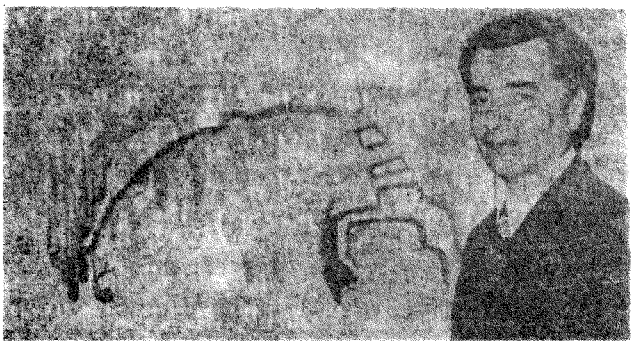

الفنان نعيم اسماعيل

السوري والعربي ، وزهرة قصفت قبل الاوان . لقد كان فنانا شفافا صادق الاحساس شديد الالتزام بالواقع ، وموته خسارة أخرى فادحة لعلم من أعلام فننا الحديث . نعيم اسماعيل من مواليد انطاكية عام ١٩٣٠ ، درس التصوير في استامبول ، ومارس التصوير وفن الفسيفساء الجداري وتصميم الاغلفة والاخراج والرسم الصحفيين ، كما درّس في كلية الفنون الجميلة وكلية هندسة التجارة .

معارض فنية :

ما دمنا في رحاب الفن التشكيلي لا بد من الاشارة الى معرض الايطالية لورا تارانتولا ، هذا المعرض الذي يتسم بشخصية متميزة بالشاعرية والرهافة والخيال الأنثوي . ولورا ولدت في روما ، وهي تمارس تدريس الرسم والتصوير وتاريخ الفن والازياء في معاهدها العليا . أقامت تارانتولا عشرة معارض فردية نظمت في القصور والمتاحف الايطالية ، ونالت عديدا من الجوائز التقديرية منذ أن بدأت تعرض لوحاتها في ايطاليا والعالم عام ١٩٦٣ ، وهي بشكل خاص مصممة تزيينات مسرحية اضافة الى موهبة التصوير .

كتب الفنان السوري ممدوح قشلان مقدما المعرض: « ان لورا من مجموعة الفنانين الشباب الاوروبيين الذين يرفضون الانقياد خلف موضة العصر والانجراف في البحث عن جزئيات الاشكال أو تحليل الالوان بالمواد المختلفة ، لم تقف عند حدود التقنية للمادة بل ان ما يشغل بالها هو مسيرة القلق الانساني والانفماس المادي والصراع النفسي ومختلف الاحاسيس الانسانية الروحية ، فهي تبحث عن نقاء التعبير عن الاسارير الحزينة أحيانا ، ولا تصل بالحزن الى البكاء أو الصراخ بل الصمت المطلق والسكون الهادىء » .

ويبدو تأثر تارانتولا واضحا للمشاهد بفن عصر النهضة ، وبأعمال ميكل انجلو وبوتشيللي وغيرهما . ان أعمالها التصويرية قريبة من روح النحت القديم ، بل تبدو شخصياتها الملائكية المرسومة وكأنها ما زالت متعلقة بالفراغ وراءها ، كما تتعلق المنحوتات ببقايا الحجر . في رسومها غنائية عذبة اللون ، وانسياب في الخطوط ، وامتزاج بين الانسان والجو المحيط به في خلفية اللوحة . هذه اللمسة المثالية الروحانية جعلت معرض لورا تارانتولا يتميز عن المعارض الاجنبية الزائرة ـ خصوصا من ايطاليا ـ حيث العقل أو الصرعة هما السائدان على حساب ضمور الروح .

مع بداية هذا العام أيضا افتتح معرض فني لرسوم الفنان جيمس لامانتيا أستاذ هندسة العمارة في جامعة عمان ، وذلك في المركز الاميركي بدمشق . ضم المعرض عددا من الرسوم التخطيطية التي تمثل مشاهد مختلفة من دمشق والاردن ومصر القديمة . والسيد لامانتيا حائز على جائزة روما ، وله معارض عدة في أوروبا وأميركا .

كما افتتح في المركز الفرنسي معرض لفنان سوري شاب هو نذير اسماعيل ، الذي يتميز بتجاربه الفنية منذ زمن ، والذي يحاول التعبير عن أزمات الانسان المعاصر بروح انسانية تؤمن بالمحبة . ورغم انه يرسم عادة بألوان تميل للقتامة مأساة اغتراب وتمزق الانسان في زماننا ، لكن هذا العذاب هو طريق خلاصه .

الفنانة الايطالية لورا تارانتولا

الانقلاب الابيض للشعر :

شهدت دمشق تظاهرتين كبيرتين تحية للشعر . وذلك من خلال امسية الشاعر العراقي الكبير محمد مهدي الجواهري . وامسية لموهبة الشعر الحديث الاولى محمود درويش . اعاد الجمهور السوري المنقطع والعازف عن حضور الامسيات التقليدية التي تقيمها المراكز الثقافية واتحاد الكتاب . اعاد الى الذهن احتفالات عكاظ التي نقرا عنها في كتب التاريخ ، حين احتضن بمحبة وحماسة أمسية الجواهري وتفاعل مع حيوية القائه وقوة شعره . رغم انه كان شعر مناسبة . ولم يكن حظ الشعر الحديث باقل من حظ الشعر العمودي ، فاذا كان مسرح الحمراء قد امتلأ بمستمعي الجواهري . فقد غصّ مسرح كلية الهندسة بأكبر جمهور على الاطلاق تشهده دمشق لسماع أشعار محمود درويش ، حتى تعذر على الشاعر احياء الأمسية ، فنقلت على الفور مع جمهور ينوف على ثلاثة آلاف مستمع الى ملعب مغطى لكرة السلة ضاق على اتساعه بهذا الحشد الهائل الذي استمع وتجاوب مع قصائد محمود درويش الاخيرة .

كان في هاتين الامسيتين درس كبير للشعراء العرب حول جماهيرية الشعر ، رغم صعوبته الكلاسيكية أو حداثته التجديدية ، اذا كان شعرا جيدا يحمل هموم المرحلة ويعبّر عن الامل القومي لأمتنا العربية ، دون حذلقة أو افتعال . كان الشهر الماضي بالفعل احتفالا شعريا عظيما ، بحيث احتل الشعر الساحة دون مقاومة محققا انقلابا أبيض بعد طول أفول. هذا الدرس كان ممكنا أن يتحقق مع أسماء مغمورة لو أجيد تقديمها والاعلان عنها للجمهور العريض . يومها يصبح الحديث واردا عن دور الشعر في الحياة .

الاضواء تخبو على المسرح السوري :

نزل الستار مؤخرا على مسرحيتين : « راشومون » المسرح القومي التي أعدها مسرحيا الزوجان الاميركيان فاي ومايكل كانين عن قصتين للكاتب الياباني اكوتاجوا ، و « انسوا هيروسترات » التي قدمتها فرقة المسرح العسكري في دار للسينما بعد احتراق مبنى المسرح .

« راشومون » هي مسرحية البحث عن الحقيقة ، ومحاولة للامساك بجوهرها . لكن الحقيقة ذات أوجه عدة ، ولكل انسان حقيقته من خلال موقعه الطبقي ومصالحه الشخصية . انها حكاية قاطع طريق يعترض في الغابة فارس ساموراي وزوجته ، يخدعه ويقيده ثم يغتصب الزوجة . هذه الحكاية يستعيدها ثلاثة ـ احتموا من المطر في الغابة تحت بوابة قديمة هي بوابة راشومون ـ كما جرت في محكمة البلدة بعد العثور على الزوج مقتولا بسيفه والزوجة تبكي ممزقة الثياب .

« راشومون »

وتتجسد فصول الحكاية ، كل مرة من وجهة نظر : قاطع الطريق ، ثم الزوجة ، ثم روح الزوج ، وأخيرا الحطاب الذي شهد الاحداث خفية وأنكر ، لانه سرق سيف الزوج الفضي . كل منهم كان يحاول اضفاءالنبل والشرف والبطولة على موقفه ، ولكن كل منهم كان في أعماقه على عكس الصورة التي يظهر ، جبانا وأنانيا وخسيسا . حتى الحطاب قد كذب وشهد زورا . هذا هو موضع سخرية صانع الشعر المستعار الذي يهاجمه بتهكمه اللاذع هو والكاهن ، مؤكدا على فلسفته السلبية في الحياة وعدم ايمانه بالانسان . ويعثر الثلاثة على طفل لقيط في الغابة ، وبينما يسرق صانع الشعر المستعار بطانية الطفل الصوفية مبررا لنفسه تلك الجريمة ، يحتضنه الحطاب الفقير ليؤويه ويربيه . أما الكاهن فيمضي في طريقه وقد آمن ان درب الخلاص ليس في عزلة الاديرة بل في الاحتكاك بالبشر وملامسة همومهم . ان الحطاب هو نموذج الانسان الذي يخطىء ولكن لأنه وأولاده جائعون ، أما في أعماقه فهو أنبلهم جميعا وأشدهم انسانية .

أخرج المسرحية محمد الطيب معيدا الى الاذهان أعماله القديمة الموفقة في المسرح القومي قبل أن يتردى ولفترة طويلة في أعمال هابطة للمسرح التجاري . ضمن الامكانات التقنية المتاحة كان المعرض مقبولا ، هادىء الاخراج ، معتمدا على دقة الالقاء وتوصيل المعنى ، متحليا بجمالات واقعية تفصيلية في الديكور والازياء .

الا ان الاخراج كان يفتقر الى تفسير النص تفسيرا معاصرا له سمته التقدمية ، فظل محايدا الى حد كبير . كما تسرب الملل الى العرض أحيانا بسبب جمود المشهد وبطء الايقاع ، وحشرت لمسة كوميدية في غير موضعها لتدغدغ الجمهور فيما يرغب أن يسمعه من عبارات رجعية على لسان صانعالشعر المستعار ضد المرأة وبينما كانت المشاهد الدرامية معقولة ، وبسيطة الحلول ،

كانت المبارزتان ضعيفتين جدا . ولولا جودة التمثيل عند منى واصف ، عدنان بركات ، رياض نحاس ، فيلدا سمور ، لما أمكن للمعرض أن يصمد بهذه الصورة ، وبهذا الطموح الصعب لواقعية ماتت منذ زمن في المسرح المعاصر .

اذا كانت « راشومون » عرضا مقبولا يعيد الثقة الينا بامكانات المسرح القومي وبقدرات ممثليه ، فان « انسوا هيروسترات » عرض لا بأس به أيضا لفرقة هي بين الهواة والمحترفين ، ولاخراج هو العمل الاول للمخرج الشاب فؤاد الراشد اثر تخرجه من الاتحاد السوفياتي . مسرحية غريغوري غورين هذه تروي قصة قديمة من عهد الرومان عن رجل شريد أحرق المعبد ونال لعنة الجميع ، لكنه تمكن بدهائه ونتيجة لتحلل الدولة والمجتمع في أن ينتزع الحياة، وأن يرغم خصومه على الخضوع لارادته الشريرة وهو سجين . أما الرجل الوحيد الذي يقف ضده فهو القاضي . انه يفهم ان انتصار هيروسترات وذاكرة التاريخ التي تحفظ الشر هي النخر الذي يدب في هيكل الامبراطورية ، والذي سيؤدي الى خرابها . انه يترك منصبه ليصبح حارس هيروسترات في سجنه ، ولكن ليكتشف ان المرابي والملكة والامبراطور والجماهير قد أصبحوا بأساليب شتى ، ونتيجة لطموحاتهم الفردية ، أسرى خطة هيروسترات . ويسقط القاضي ضحية لطعنة السجين الشرير في النص الاصلي ، بينما يجعله المخرج يتابع الصراع مع الشر دون غالب أو مغلوب .

افتقر الاخراج للكوميديا الناجحة ، بينما كانت حركة الممثلين فراذى متقنة ومعبرة ، وفيها كثير من التجديد في أسلوب الأداء المسرحي . بوجه عام كان العرض في مستوى متوسط أو يزيد ، الا ان التمثيل لم يكن بمستوى مقبول عند بعض المشتركين ، قلائل فقط برزوا بامكانات تلفت النظر ، وبتفاوت واضح مع الباقين .

قبل فترة أيضا أسدل الستار عن مسرحية « الاقنعة » من تأليف واخراج علي عقلة عرسان ، وكانت تراجعا في مستوى التأليف المسرحي عنده وعلى الخارطة الادبية عموما . هذا غريب الى حد ما اذا علمنا ان عرسان أصدر كتابا ضخم الحجم مؤخرا عن المسرح العالمي باسم « سياسة في المسرح » ، فيه محاولات لاقحام تفسيرات غير مدعومة أو مبررة لعدد من أقطاب المسرح كسوفوكليس وبرشت . يلتفت عرسان في مسرحيته « الاقنعة » الى الداخل بعد أن كرس بعض مسرحياته السابقة لمسألة المواجهة في الصراع مع عدو خارجي (الفلسطينيات ـ الغرباء) . هنا يتابع ما بدأه في (الشيخ والطريق) واستمر به في (السجين ٩٥) و (عراضة الخصوم) من طروحات أخلاقية اصلاحية

« الاقنعة »

تستصرخ عواطفنا وقيمنا ، وتدين مظاهر النفاق والزيف في الشعارات والمبادىء والتقاليد الاجتماعية . انها مسرحية تحمل دون شك كثيرا من النوايا الطيبة ، فمؤلفها يعمل مبضعه في جسد وطن مريض بتزييف كل شيء ، حتى الالم الانساني . والمؤلف يفعل ذلك من خلال رؤية ذهن أخلاقي مثقف ، وعبر لغة نثرية شديدة الفصاحة تصل أحيانا الى الشعر . ان الحياة أصبحت « اما قناعا من غير حياة أو حياة من غير حياء » . المسرحية اذن صرخة لوقف التصدع والانهيار ، وجهد لملمة شتات الذات العربية . ان بطل عرسان يقول ما معناه : لم أعد أرغب أن أجمع الناس حول نفسي ، بل أن أجمع نفسي حول محورها . انها حياة تدفع الى الجنون ، وتغرق (أنيس) في الخمرة والهذيان . عندما يحاول انسان أن يستعيد وجهه وأن يعود انسانا معبرا عن حقيقته دون زيف ، تحاصره الاقنعة وتجبره على أن يبقى خرتيتا في مجتمع الخراتيت ، كانسا وجهه الانساني ، قانعا بحياة المذلة . ان (أنيس) يكتشف ـ ولكن متأخرا ـ انه بلا قبضات يغدو مثل ذبابة ، وانهم قادرون على تغييبه تحت أقدامهم حين يشتد خطر اكتشافه .

بين الذهن والواقع يختار عرسان الذهن . من هذا الذهن تتفتق صور الواقع وتأثيراته . هذا مشروع طبعا لو أبقى مسرحيته في اطار الافكار الشعرية والرموز ، لكن مشكلة المسرحية تبدأ عندما يحاول عرسان ـ مؤلفا ومخرجا ـ اقناعنا بأن هذا القناع هو واقع . لقد اعتدنا في الادب الحديث أن نواجه شخصيات واقعية في ظروف غير واقعية (كما في قصص ادغار ألن بو وروايات كافكا ومسرحيات سترندبرغ وبيكيت) . أما عند عرسان فنحن نواجه شخصيات ذهنية في ثياب واقعية ، مما يجعل لغة المسرحية نابعة من ذهن المؤلف ، وليس من واقع وتكوّن الشخصية ، بينما يسرف في واقعية شخصيات أخرى . هنا يختل

التوازن ، ونحار بين الاقتناع بالواقع وبين النظرةالفكرية نحو مجردات هي بمثابة خلق جديد يوازيه . لكنالاقناع والترابط يظلان بعيدي المنال ، لتبقى المسرحية بمجملها عبارة عن نوايا اخلاقية وعظية طيبة . وتزداد المشكلة تضخما من خلال افتقار المسرحية لوحدة الاسلوب سواء في المنهج أو في اللغة . ان « الاقنعة » تسير في اتجاهين متعارضين يدفعاننا الى الحيرة أمام الابهام ، ويحيلاننا من الواقع الى الافكار ، ويسربلان الوضوح بالمعميات . لو كان هذا ضرورة من أجل تحقيق عمق فكري أو فلسفي أو نفسي أو شعري لقبلناه ، لكن مضمون المسرحية بسيط وتعليمي وجدير بالتوصيل السهل الى الناس ، ولعبة الشكل في هذه الحالة عقبة تحول دون ذلك . المسرحية بوجه عام وسطية فيالفكر، ذات منحى مثالي اخلاقي ، فيها تعال في مخاطبة الجمهور وتوجه الى السلطة بضرورة الاصلاح . أما دراميا فهي أشبه بمونولوج في معظم أجزائها ، ورسم الشخصيات فيها يفتقر الى الدقة والاقناع ، ويتراوح بين الرمز والواقع. ولولا جودة التمثيل عند بطلها الفنان يوسف حنا والفنانة ثراء دبسي والفنانة أميمة الطاهر ، ولولا بعض اللمحات الجمالية المجددة في الاخراج هنا وهناك ، لسقط العرض نتيجة لضعف المعالجة فيالنص للفكرة الجيدة . لقد كان العرض بوجه عام مملا كالعادة في معظم أعمال عرسان ، يتسم بالانشائية والوعظ . ولذلك يبدو ان الاتجاه مال نحو تقديم نصوص عالمية سنتحدث عنها في مقال لاحق ، ومن أبرزها « دون كيشوت » التي تجري عليها التدريبات حاليا .

« السيد التقدمي » وواقع السينما السورية :

بعد احتجاب يزيد عن سنتين يعرض الفيلم الروائي السوري « السيد التقدمي » من اخراج نبيل المالح عن قصة بوليسية قصيرة ، وهو فيلم بالالوان عن صراع بين شخصية سياسية تؤمن مركزها فيالدولة وتنال تأييدا جماهيريا في الانتخابات بوسائل اجرامية غير مشروعة ، وبين صحفي تقدمي شاب يحاول فضحه. وقد سمح بعرض الفيلم بعد سياسة الانفتاح الثقافي ، وازالة العراقيل التي تؤخر الانتاج السينمائي ووصوله الى الناس لاسباب غير موضوعية . الفيلم مثير وجماهيري صورت أحداثه في لبنان .

أتى هذا عقب الاحتفال باليوبيل الذهبي للسينما السورية تحت رعاية السيدة وزيرة الثقافة الدكتورة نجاح العطار ، وتضمن الاسبوع عرض أفلام طويلة من تاريخ السينما السورية والقاء محاضرات في المراكز الثقافية في المحافظات واقامة معرضين أحدهما تقني والثاني للكتاب السينمائي السوري . وقد كرمت الدولة رسميا السينمائيين الاوائل بحضور مدير المؤسسةالعامة للسينما محمد شاهين ، وهم السادة :

أيوب بدري ـ اسماعيل اندور ـ رشيد جلال ـ نزيه الشهبندر ـ أحمد عرفان ـ بشير كركوتلي ـ جوزيف فهدة ـ وزهير الشوا .

أما في النادي السينمائي بدمشق فكان أبرز ما عرض في الفترة الاخيرة فيلم «عيادة الدكتور كاليغاري» من المدرسة الالمانية التعبيرية القديمة ، و « الملياردير » من اخراج الفرنسي رينيه كلير ، وهو من الواقعية النقدية الشاعرية الساخرة .

ويتميز هذا الفيلم بين أفلام كلير بأنه يلجأ للخيال ويفترض بلدا غير موجود على الخارطة ، يعتمد على المقامرة والحياة الاستهلاكية . انه فيلم من روائع الكوميديا الراقية في تاريخ السينما .

مطبوعات جديدة :

من أبرزالمطبوعات الجديدة الصادرة عن وزارة الثقافة والارشاد القومي « الواقعية في النقد العربي الحديث » للناقد حنا عبود ، مجموعة « الضيف » للقاص الشاب محمود عبد الواحد ، ديوان شعري لعادل محمود (الذي نعرفه قاصا شابا وصحفيا موهوبا) . من الكتب الهامة الاخرى كتاب عن الادب الصهيوني في اميركا للدكتور منير صلاحي الاصبحي ، وديوان شعر بعنوان « القيد البشري » لأحمد يوسف ، ومسرحيات لوليد اخلاصي بعنوان « سبعة أصوات خشنة » .

أما عن اتحاد الكتاب فصدرت رواية « النقيض » لإفنان القاسم ، ومجموعة قصص جديدة لمحمد الزفزاف ، وديوان شعر « أيها الزمان الضيق أيتها الارض الواسعة » لنزيه أبو عفش . وهذه المطبوعات الاخيرة هي عودة الى التوازن والمستوى المعقول بعد أن أصبح اتحاد الكتاب « تكية » للمواهب الضعيفة والاسماء التقليدية التي تنفض عنها غبار الزمن وتعلن عن وجودها الهامشي كسبا للاصوات في الانتخابات الادارية القادمة للاتحاد . على كل حال ، هذا ما سيكون موضوع رسالة قادمة .